استخدام الاستقصاء العملي لتحسين تعلم طالبات الصف الثالث الثانوي: بحث إجرائي

د. زينب عبدالله الزايد

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.6.1.9

استخدام الاستقصاء العملي لتحسين تعلم طالبات الصف الثالث الثانوي: بحث إجرائي

د. زينب عبدالله الزايد

دكتوراه الفلسفة في المناهج وطرق التدريس، إدارة تعليم الرياض، وزارة التعليم، السعودية

leen333@hotmail.com

قدمت للنشر في ٤/ ٩/ ٢٠٢٢ **قبلت للنشر في ٣/ ١١/ ٢٠٢٢**

ملخص: هدف البحث إلى استكشاف الكيفية التي يسهم بها استخدام الاستقصاء العملي في تحسين تعلم طالبات الصف الثالث الثانوي في مادة الحديث والثقافة الإسلامية. ولتحقيق هذ الهدف؛ اتبعت الباحثة منهج البحث الإجرائي الذي يمكّن الممارسين من تفحص ممارساتهم وتحسينها، واستخدمت أداتين نوعيتين هما: الملاحظة والأسئلة المفتوحة، وحللت البيانات بأسلوب الترميز المفتوح. وأظهرت النتائج أن استخدام الاستقصاء العملي أسهم في تحسين تعلم الطالبات من خلال أربعة جوانب رئيسة: تعزيز التعلم التعاوني، وتنمية مهارات التفكير، وتنمية مهارات حل المشكلات، وربط محتوى الدرس بالحياة الواقعية. وأسهم هذا البحث الإجرائي في تعزيز الأداء التدريسي للمعلمة الباحثة من خلال تطوير إجراءات الاستقصاء العملي لتتناسب مع طالبات الصف الثالث الثانوي ومحتوى المادة الدراسية، وزيادة قناعتها بإمكانية تطبيقه في المرحلة الثانوية. وفي ضوء النتائج؛ قدم البحث توصيات لدعم استخدام الاستقصاء العملي في المرحلة الثانوية، منها: تنظيم الجدول المدرسي بمرونة ليسمح بوقت كافٍ لتطبيق الاستقصاء، وتوفير الإنترنت، وتفعيل التعلم المدمج في المدارس الثانوية.

الكلمات الدلالية: مجتمع الاستقصاء، الحضور المعرفي، التأمل، الحوار

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.6.1.9

Using practical inquiry to improve third-grade secondary students' learning: Action research

Zinab Abdullah Mohammad Alzayed, PhD
PhD in Curriculum and Instruction, Riyadh Education Department, MOE, Saudi Arabia, leen333@hotmail.com

Received on September 4th, 2022, **Accepted on November 3rd, 2022**

Abstract: The purpose of the study was to explore how practical inquiry enhances third-grade secondary students' learning in Hadith and Islamic culture. The researcher followed an action research approach that enables practitioners to examine and improve their practices. Two qualitative instruments were used to collect data: Observation and open-ended questions. The data were analyzed by open coding. Results showed that the use of practical inquiry improved student learning through four main aspects: promoting cooperative learning, developing thinking skills, developing problem-solving skills, and linking the lesson content to real life. This action research helped improve the researcher's teaching performance by developing the practical inquiry procedures to be appropriate for third-grade secondary students and the subject, and strengthened her belief that practical inquiry could be used in secondary education. The research made recommendations to support practical inquiry in secondary schools, including flexible organization of the school schedule to allow sufficient time to conduct inquiry, provision of Internet, and activation of blended learning in secondary schools.

Key Words: Community of Inquiry, Cognitive Presence, Reflection, Discourse

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.6.1.9

المقدمة

يتطلب عالم اليوم بما فيه من تطور متسارع في كافة المجالات توفير الفرص التعليمية التي تساعد الطلبة على التعلم مدى الحياة من خلال تنمية مهارات القرن الحادي والعشرين، كالإبداع وحل المشكلات والتفكير الناقد والتواصل والتعاون. فلم يعد الهدف من التعليم حفظ الطلبة لمحتوى معرفي معين واستظهاره، وإنما أصبح على المعلم أن يستخدم الأنشطة والاستراتيجيات التي تعزز تعلم طلابه من خلال التأمل والتفكير والحوار والتشارك لبناء المعرفة، وربط ما يتعلمونه بخبراتهم السابقة وبمواقف الحياة اليومية.

ويعدُّ الاستقصاء بشكل تعاوني من أهم الأنشطة التي تسهم في تحسين التعلم. فهو عملية تفكير ناقد، وحل مشكلة، تعتمد على منهجية واضحة، وتؤدي إلى اتخاذ قرار، وبناء معرفة مشتركة ومعنى خاص بكل مشارك (Garrison, 2013). أي أنه عملية تعلُّم هدفها ليس المعرفة في حد ذاتها، وإنما التمكّن من استخدام المفاهيم المكتسبة في المواقف التي قد تواجه الفرد في الوقت الحالي، أو مستقبلًا (Wells, 2004).

ويمثل مجتمع الاستقصاء (Community of Inquiry) بيئة تعلم تضع المتعلمين في خبرة واقعية مشتركة، وتمكنهم من بناء المعرفة بشكل تشاركي من خلال التأمل الناقد والحوار المستمر (Garrison et al., 2000; Garrison, 2013). ومن أهم خصائص هذا المجتمع: الرغبة في التساؤل، والتأمل، والربط، والسعي للفهم بالتشارك مع الآخرين في محاولة للإجابة عن الأسئلة، وتطوير أساليب حل المشكلة (Garrison et al., 2000; Wells, 2004).

وقد قدم جيرسون وآخرون (Garrison et al., 2000) إطارًا لمجتمع الاستقصاء يستند إلى النظرية البنائية الاجتماعية (Akyol & Garrison, 2011; Garrison, 2013)، ويفترض أن التعلم في المجتمع يحدث من خلال تفاعل ثلاثة عناصر مترابطة: ١) الحضور المعرفي

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.6.1.9

(Cognitive Presence)، ويرتبط بقدرة المشاركين على بناء المعنى من خلال استمرار الحوار والتأمل؛ ٢) الحضور الاجتماعي (Social Presence)، ويعكس تطوير البيئة والعلاقات الاجتماعية في مجتمع التعلم؛ ٣) الحضور التدريسي (Teaching Presence)، ويوفر القيادة (الميسر)، ويشمل توفير المصادر الخارجية، وتصميم الأنشطة والعمليات الاجتماعية والمعرفية، وتيسيرها، وتوجيهها لتحقيق النتائج المرجوة (Akyol & Garrison, 2011; Garrison et al., 2000).

ويتضمن إطار مجتمع الاستقصاء نموذج الاستقصاء العملي (Practical Inquiry) الذي يتكون من أربعة مستويات للحضور المعرفي، وهي (Garrison et al., 2000):

١) إثارة الحدث (Triggering Event)، ويعبر عن حالة من عدم الارتياح الناجم عن خبرة، ومن مؤشراته: الاعتراف بمشكلة، والشعور بحيرة، وطرح أسئلة، أو قضية جديدة.

٢) الاستكشاف (Exploration)، ويتم فيه البحث عن المعلومات، وتوليد الأفكار لفهم الموقف، ومن مؤشراته: مناقشة الغموض، وتبادل معلومات، أو أفكار، أو خبرات.

٣) التكامل (Integration)، ويتم فيه بناء المعنى من خلال التكامل بين التأمل والحوار، ومن مؤشراته: ربط الأفكار، وتنظيمها، وتطويرها، وإنشاء تفسيرات.

٤) اتخاذ القرار (Resolution)، ويتم فيه تطبيق المعرفة المكتسبة، ومن مؤشراته: تنفيذ أفكار جديدة في الواقع، وتقويم الحلول وتبريرها.

صُمم إطار مجتمع الاستقصاء -في الأساس- لدراسة تعلم الطلاب في سياق التعليم العالي عبر الإنترنت (Garrison et al., 2000)، إلا أنه استخدم أيضًا في التعلم المدمج في

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.6.1.9

التعليم العالي (Akyol & Garrison, 2011)، وفي التطوير المهني للمعلمين (Murugaiah et al., 2012) وأعضاء هيئة التدريس (Vaughan & Garrison, 2005).

وقد قمت بتطبيق إطار مجتمع الاستقصاء لتدريب المعلمات في سياق مجتمعات التعلم المهنية، وكان له تأثير إيجابي في تعلمهن وتطورهن المهني (الزايد، ٢٠١٧؛ Alzayed & Alabdulkareem, 2021). ومن واقع خبرتي في الاستقصاء العملي نظريًا وعمليًا، تولدت لدي قناعة بأهمية تجريبه في تدريس طالبات الصف الثالث الثانوي؛ واستكشاف تأثيره في تعلمهن.

مشكلة البحث

للتأمل دور أساس في عملية التعلم العميق الذي يسعى فيه المتعلم إلى فهم معنى المحتوى بالنسبة لمعرفته السابقة، في حين أن غياب التأمل يجعل التعلم سطحيًا، يتركز فيه جهد المتعلم على حفظ المعلومات (Moon,2004). وقد لاحظت أثناء متابعتي للمهام الكتابية التي كنت أكلف طالباتي بها أن الطالبات يفتقرن غالبًا للتأمل في موضوع الدرس وربطه بخبراتهن السابقة وحياتهن الواقعية. ولمساعدة الطالبات على التعلم العميق؛ رأيت أن أطبق معهن الاستقصاء العملي لكونه طريقة للتعلم تقوم على التأمل والحوار حول الخبرة، ويتوقع أن يكون لهذه الطريقة تأثير إيجابي في تعلم الطالبات. لذلك تمثلت مشكلة هذا البحث الإجرائي في الإجابة عن السؤال الآتي:

كيف يسهم استخدام الاستقصاء العملي في تحسين تعلم طالبات الصف الثالث الثانوي في مادة الحديث والثقافة الإسلامية؟

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.6.1.9

أهداف البحث

يهدف البحث إلى استكشاف الكيفية التي يسهم بها استخدام الاستقصاء العملي في تحسين تعلم طالبات الصف الثالث الثانوي في مادة الحديث والثقافة الإسلامية.

أهمية البحث

يواكب البحث التوجهات التربوية الحديثة التي تنادي بجعل المتعلم محور النشاط الصفي، بتهيئة فرص التعلم التي تشجعه على بناء معرفته بنفسه، وتنمي لديه مهارات القرن الحادي والعشرين. وينطلق البحث في تحقيق ذلك من عمل المعلمة، حيث يستخدم إجراءات مجربة في السياق الواقعي، يمكن الاستفادة منها في تحسين ممارسات المعلمات وتعلم الطالبات.

مصطلحات البحث

الاستقصاء العملي

هو عملية بناء المعنى من خلال استمرار الحوار والتأمل، ويعكس مفهوم جون ديوي حول التأمل الذي يقوم على الخبرة، وينتج عنه معرفة، وحل مشكلة أو اتخاذ قرار. ويتضمن أربعة مستويات متتابعة: إثارة الحدث، ثم الاستكشاف، ثم التكامل، ثم اتخاذ القرار (Garrison et al., 2000; Garrison, 2013).

ويعرّف إجرائيًا في هذا البحث بأنه طريقة منظمة للتعلم تعتمد على الحوار والتأمل، وتتكون من أربع خطوات تقوم بها الطالبة بالتشارك مع مجموعتها بدءًا باختيار مشكلة واقعية ذات علاقة بمحتوى الدرس، ثم البحث عن معلومات لفهم المشكلة ومعرفة أسبابها، ومن ثم الوصول إلى استنتاجات وتحديد أهم الأسباب، وأخيرًا اقتراح حلول للمشكلة وتجريبها.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.6.1.9

ويتمثل دور المعلمة أثناء قيام الطالبات بهذه الخطوات في التيسير والتوجيه لضمان استمرارهن في التأمل والحوار، وتقويم تقدمهن في تطبيق هذه الخطوات.

تعلم الطالبات

يُعرّف التعلم إجرائيًا في هذا البحث بأنه العملية النشطة التي تقوم بها الطالبات أثناء الحصص الدراسية، وتؤدي إلى تحقيق نواتج التعلم المعرفية والمهارية والوجدانية في مادة الحديث والثقافة الإسلامية.

الإجراءات والأدوات

اتبع البحث منهج البحث الإجرائي، وهو عملية دراسة ذاتية تمكّن الممارسين من تفحص ممارساتهم وتحسينها، فالمعلم الذي ينخرط في بحث إجرائي يدرس الطرق التي تزيد من تعلم طلابه، ويركز على أهدافه وأساليبه، والنواتج المرغوبة باعتبارها جزءًا من دراسته البحثية (هيندريكس، ٢٠١٤).

وقد أُجري البحث في الثانوية (١٥) بالرياض أثناء الفصل الأول من العام الدراسي ١٤٣٩/ ١٤٤٠هـ، حيث كنت معلمةً لمواد الدراسات الإسلامية للصف الثالث بقسميه العلمي والأدبي: فصلان للقسم العلمي، وفصل للقسم الأدبي، وشمل تطبيق البحث الفصول الثلاثة. وبلغ عدد الطالبات (٩٢) طالبة موزعات كالآتي: ثالث علمي أول (٢٩) طالبة، ثالث علمي ثاني (٢٨) طالبة، ثالث أدبي (٣٥) طالبة.

واخترت تجريب الاستقصاء العملي في تدريس مادة الحديث والثقافة الإسلامية للصف الثالث الثانوي (النظام الفصلي)؛ لكون المادة تسمح بتنوع الآراء والأفكار، والربط بواقع الطالبات ومشكلاتهن الحياتية. وأثناء الحصص التي استخدمت فيها الاستقصاء العملي، قمت

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.6.1.9

بدور الميسّر لتحريك عمليات الاستقصاء لمراحل أكثر تقدمًا بتشجيع الطالبات على الحوار والتأمل والتفكير بعمق، وإدارة عملية التشارك والتواصل، وتوجيهها لتحقيق الأهداف. وفيما يأتي إجراءات التدريس باستخدام الاستقصاء العملي التي نفذتُها:

- اختيار الدروس المناسبة لتطبيق الاستقصاء العملي. وقد رأيت أن الدروس التالية: (الشيطان ومداخله، الذنوب والمعاصي وآثارهما، التوبة) تشكل موضوعًا مترابطًا؛ فاخترتها لتطبيق التجربة مع طالبات الصف الثالث علمي خلال ثلاث حصص لكل فصل، كما اخترت درس (الحجاب) للتطبيق مع الصف الثالث أدبي في أربع حصص (الحصص المتاحة للمادة لدى القسم الأدبي أكثر، وطالبات هذا القسم يحتجن إلى وقت أطول للتدريب مقارنة بطالبات القسم العلمي).
- توضيح فائدة الاستقصاء العملي للطالبات باعتباره طريقة فعالة لحل المشكلات، وشرح خطواته نظريًا بشكل مختصر وكتابتها على السبورة.
- البدء بشكل فوري في العمل مع الطالبات خطوة خطوة، وفق الخطوات الآتية:

١) تقسيم الطالبات إلى مجموعات. (سبق للطالبات ممارسة التعلم التعاوني).

٢) تقرأ الطالبات الدرس/ الدروس بشكل سريع لأخذ فكرة عامة عن العناصر الرئيسة، ثم تتناقش كل مجموعة لتحديد مشكلة مرتبطة بواقعهن لها علاقة بهذه الدروس (**مرحلة إثارة الحدث**).

٣) تشرف المعلمة على عمل المجموعات لتوجيه الطالبات لكيفية تحديد المشكلة وفق الآتي:

- تقترح كل مجموعة أكثر من مشكلة من واقع حياتهن اليومية.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.6.1.9

- تتفق الطالبات على مشكلة واقعية مشتركة، ولا تتدخل المعلمة في ذلك إلا إذا لزم الأمر، كأن تكون المشكلة المقترحة ليس لها حل في متناول الطالبات.
- توجيه الطالبات لصياغة المشكلة في صورة سؤال قابل للاستقصاء. ولمساعدتهن في ذلك؛ توضح المعلمة للطالبات أن المشكلة تعني واقع غير مرغوب ونريد تغييره أو تحسينه، وتسأل الطالبات: ما الذي تردن الوصول له؟ ومن ثم يقمن بتحويل إجابتهن إلى سؤال بحثي.

أمثلة للأسئلة البحثية التي وضعتها طالباتي:

- كيف يمكن تشجيع الطالبات على المحافظة على الصلاة في أوقاتها؟
- كيف يمكن الحد من التشبه بالرجال بين الطالبات؟
- كيف يمكن الحد من التنمر بين الطالبات؟
- كيف نتخلص من الغيبة في مجالسنا؟
- كيف يمكن تجنب التأثير السلبي للأصدقاء؟
- كيف يمكن إقناع الفتيات بارتداء الحجاب كعبادة وليس عادة؟ (توافقت آراء مجموعات القسم الأدبي في اختيار هذه المشكلة)

١) بعد تحديد المشكلة وصياغة سؤالها، تنتقل المعلمة بالطالبات لـ**(مرحلة الاستكشاف)**، حيث توجههن للبحث عن معلومات لفهم المشكلة وتحديد أسبابها. يستخدم الكتاب المدرسي مصدرًا رئيسًا، ويمكن الاستعانة بمصادر أخرى كالكتب والإنترنت، وسؤال من لهم علاقة بالمشكلة. (اكتفيت مع طالباتي

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.6.1.9

بالكتاب المدرسي لأن الهدف الرئيس من تطبيق الاستقصاء العملي لأول مرة تدريبهن على التأمل والحوار)

٢) تتحاور الطالبات حول مظاهر المشكلة وأسبابها، ويتبادلن المعلومات والآراء، ويقمن بكتابة مسودة بأهم الأفكار. تشجع المعلمة الطالبات في هذه المرحلة على العصف الذهني للخروج بأكبر قدر ممكن من الأفكار حول الموضوع.

٣) تتأمل الطالبات في المعلومات التي حصلن عليها ويحاولن الربط بين الأفكار، واستنتاج أهم الأسباب التي قد يكون لها تأثير على بقية الأسباب، ومن ثم اقتراح حلول عملية للمشكلة بناء على هذه الاستنتاجات. (**مرحلة التكامل**)

٤) أثناء مرحلة التكامل تركز المعلمة على التأمل والحوار بين الطالبات وحثهن على التفكير العميق، وعدم الاكتفاء بالأفكار السطحية.

٥) لإكمال دورة الاستقصاء العملي تقوم الطالبات بتنفيذ الحلول المقترحة ضمن مشروع عملي لحل المشكلة (**مرحلة اتخاذ القرار**)، ويحصلن على التغذية الراجعة من الطالبات المستفيدات والمعلمات، ومن ثم كتابة تأملات حول ما تعلمنه من التجربة. (لم تطبق طالباتي هذه المرحلة لوجود بعض المعوقات، كانشغال الطالبات بالاختبارات وبمشاريع أخرى).

٦) تكتب كل طالبة تقريرًا يتضمن ما يأتي: المشكلة مصاغة في سؤال قابل للاستقصاء، الأسباب الرئيسة للمشكلة، الحلول المقترحة لمعالجة أسباب المشكلة (الإجابة عن هذه العناصر الثلاثة تعتمد على ما توصلت له الطالبة بالتعاون مع مجموعتها)، ماذا

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.6.1.9

استفدت من طريقة الاستقصاء العملي؟ ماذا تقترحين ليكون تطبيق الطريقة بشكل أفضل؟ (تجيب الطالبة عن هذين السؤالين بشكل فردي).

مثال لتقرير من إعداد الطالبات

خطوات الاستقصاء العملي (معطى من قبل المعلمة):

١. اختيار مشكلة واقعية.

٢. البحث عن معلومات لفهم المشكلة ومعرفة أسبابها.

٣. الوصول إلى استنتاجات وتحديد أهم الأسباب.

٤. اقتراح حلول وتجريبها.

المشكلة المتفق عليها: تأخير الصلاة

السؤال: كيف يمكن تشجيع الطالبات على أداء الصلاة في وقتها؟

أهم أسباب المشكلة:

١. الانشغال بالأمور الدنيوية خاصة وسائل التواصل الاجتماعي.

٢. الجهل بأهمية الصلاة في الدنيا والآخرة.

الحلول المقترحة:

١. منشورات توعوية وفيديوهات ومشاهد تمثيلية وقصص توضح أثر الصلاة على حياة الفرد.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.6.1.9

٢. توزيع جداول مواعيد الصلاة أو تحميل برنامج على الجوال يذكرنا بدخول وقت الصلاة.

٣. لافتات عن أهمية الصلاة وإعطاء فرصة للطالبات للتعبير عن ذلك.

ماذا استفدت من طريقة الاستقصاء العملي؟

استمتعت كثيرًا بهذه الطريقة حيث كان العمل الجماعي جميلًا ومفيدًا في نفس الوقت، كما كان ربط الدروس بالواقع محفزًا لنا على مواجهة أخطائنا ومناقشتها والخروج بحلول مناسبة لها.

ماذا تقترحين ليكون تطبيق الطريقة بشكل أفضل؟

مشاركة كل مجموعة مشكلتها وحلولها والعمل الجماعي من المجموعات للحصول على أكبر كم من المشكلات والتفكير في حلول تلك المشكلات.

جمع البيانات

للإجابة عن سؤال البحث؛ استخدمت أداتين نوعيتين لجمع البيانات هما:

١) الملاحظة

قمت بجمع البيانات من ملاحظة عمل المجموعات أثناء حصص الاستقصاء العملي باعتباري ملاحظًا مشاركًا في البحث. وقد ساعد كوني معلمة المادة على الملاحظة في السياق الواقعي المعتاد للطالبات، إضافة إلى أن قيامي بدور الميسر أتاح لي وقتًا أكبر للملاحظة.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.6.1.9

٢) الأسئلة المفتوحة

طلبت من الطالبات بعد انتهاء تطبيق الاستقصاء العملي الإجابة كتابةً عن السؤالين الآتيين:

- ماذا استفدتِ من طريقة الاستقصاء العملي؟
- ماذا تقترحين ليكون تطبيق الطريقة بشكل أفضل؟

وقد تعمدت إدراج هذين السؤالين في نهاية التقرير لضمان الحصول على الإجابات من جميع الطالبات، لأن هذا التقرير يعدُّ مهمة كتابية لها درجة محددة من درجات أعمال السنة لا تحصل عليها الطالبة إلا بإنجاز هذه المهمة.

تحليل البيانات:

قمت بتحليل البيانات النوعية التي حصلت عليها من الملاحظة وإجابات الطالبات عن السؤالين باستخدام الترميز المفتوح الذي لا يعتمد على هيكلة مسبقة للتصنيف (العبدالكريم، ٢٠١٢)، ومن ثم تصنيف الرموز في فئات أكثر شمولًا وارتباطًا بالسؤال البحثي.

ولتحقيق مصداقية النتائج؛ سجلت الملاحظات بشكل تفصيلي مباشرة بعد انتهاء كل حصة من حصص تطبيق الاستقصاء العملي، وجمعت البيانات من جميع الطالبات، وناقشت النتائج معهن.

نتائج البحث

أظهرت نتائج تحليل البيانات النوعية أن استخدام الاستقصاء العملي أسهم في تحسين تعلم طالبات الصف الثالث الثانوي في مادة الحديث والثقافة الإسلامية من خلال أربعة جوانب رئيسة:

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.6.1.9

١- تعزيز التعلم التعاوني والعمل الجماعي

رغم أن الطالبات سبق لهن تطبيق التعلم التعاوني في دروس سابقة؛ إلا أني لاحظت أنهن كن أكثر تفاعلًا أثناء تطبيقهن له في حصص الاستقصاء العملي. وترى الطالبات أن الاستقصاء العملي جعل العمل الجماعي ممتعًا وأكثر تعاونًا، وساعد على تعلم أسلوب المناقشة والحوار، والاستفادة من تنوع الخبرات والأفكار لدى أفراد المجموعة. ويُفهم من إجابات الطالبات أنهن أدركن أهمية التعلم مع الآخرين. وفيما يلي اقتباسات من إجابات الطالبات المتعلقة بهذا الجانب:

- "استمتعت كثيرًا بهذه الطريقة التي تعزز طرق العمل الجماعي وتغير كل فرد في نفس الوقت".
- "القدرة على التكيف مع العمل الجماعي".
- "تعزيز روح التعاون والإثارة والمناقشة وزيادة الثقافة لدي بتبادلها بين الأفراد".
- "أسلوب الحوار في مجموعة والاتفاق معهم على رأي واحد".
- "تعلم فن الإصغاء للآراء المقترحة".
- "المشاركة وتبادل الأفكار".
- " قبول أفكار الزميلات".
- "إيجاد العديد من الحلول والأفكار بسبب العمل الجماعي. سهولة العمل لتعدد الطالبات".

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.6.1.9

٢- تنمية مهارات التفكير

يظهر من إجابات الطالبات أن تطبيق الاستقصاء العملي يساعد على تنمية مهارة التلخيص وتوليد الأفكار وتنظيمها والربط بينها. وكذلك يساعد على الفهم والتفكير بعمق، واكتساب معلومات جديدة والاستفادة منها. وقد لاحظتُ أن الطالبات يستفدن من أفكار بعضهن في فهم المشكلة بشكل أفضل. على سبيل المثال، إحدى الطالبات أخبرتني أثناء الحصة أنها مسرورة بهذه الطريقة، وتتمنى لو طبقت في جميع الدروس؛ لأنها -كما تقول- أدركت من خلال الحوار مع زميلاتها أمورًا لم تكن تفهمها من قبل.

وفيما يلي اقتباسات من إجابات الطالبات المتعلقة بهذا الجانب:

- "لأي موضوع محاور وأفكار وأسباب كثيرة ولكن يمكنني تلخيصها حسب أهميتها".
- "محاولة اختصار كم من المعلومات أو الأفكار أو الدروس في فكرة واحدة".
- "إعطائي أكبر قدر من القدرة على التفكير والعصف الذهني".
- "توسيع تفكير الطالب لأبعد حدود لأنه يفكر في حلول مستقبلية".
- "تنظيم الأفكار وتسلسلها".
- "ترتبت عندي الأفكار من المشكلة والسبب والحل وأصبحت منظمة ويسهل النقاش فيها".
- "ترتيب الأفكار وسهولة التعامل معها".
- "دمج آراء الآخرين وأفكارهم للوصول إلى النتيجة".
- "أخذ أفكار الآخرين وجمعها بطريقة منظمة".

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.6.1.9

- "التفكير بعمق".
- "فهم الموضوع بشكل أسرع وأعمق- وصول إلى معلومات جديدة".
- "فهم المشكلة بشكل واضح من خلال تعدد الخبرات لدى زميلاتي".
- "تعديل أفكار خاطئة".
- "جمع معلومات بشكل موسع".
- "اكتساب معلومات جديدة من خلال البحث عن أهم المشاكل في وقتنا الحالي"؟
- "اكتسبت نماذج عن طريقة تفكير زميلاتي فاستطعت أن أفكر بأكثر توسع بالمشاكل والأسباب والحلول".

٣- تنمية مهارات حل المشكلات

يعدّ الاستقصاء العملي من أساليب حل المشكلات، وقد لاحظت أثناء تطبيقه تفاعل جميع الطالبات في كل المجموعات وحماسهن لمعرفة أسباب المشكلة واقتراح الحلول. واتضح من إجابات الطالبات أن الاستقصاء العملي أسهم في تدريبهن على مهارات حل المشكلة، ومنها تحديد المشكلة وصياغتها في سؤال، وتحليل المشكلة لمعرفة أسبابها، واقتراح الحلول ومناقشة إمكانية تطبيقها في الواقع.

وفيما يلي اقتباسات من إجابات الطالبات المتعلقة بهذا الجانب:

- "كيفية معرفة لب المشكلة وأسبابها وكيفية حلها".
- "أن لكل مشكلة حل بإذن الله ولكن يجب معرفة الأسباب أولا".
- "ترتيب الأفكار، تحديد المشكلة، وضع خطة للحل".

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.6.1.9

- "معرفة طرق كتابة الأسئلة والمشكلة والأسباب ومن ثم الحلول".
- "التوصل إلى حلول للمشكلة بأسرع وقت وسيكون الحل مفيد ومجدي لأنه مبني على استنتاجات".
- "أنه يلم بجميع جوانب المشكلة وهذا يساعد ويسهل معرفة الحلول".
- "القدرة على اكتشاف المشكلة وإيجاد حلول لها بطريقة منظمة".
- "اقتراح حلول عملية لمشكلاتنا في الحياة والعمل بها".
- "فهم المشكلة بشكل أوضح. ترتيب الأفكار حتى نستطيع إيجاد حل".
- "التدرج للوصول إلى حل المشكلة".
- "إيجاد الحلول بسهولة عند العزم على فعل الشيء أو حله".

٤- ربط محتوى الدرس بالحياة الواقعية

لاحظت أثناء متابعتي لمناقشات المجموعات في حصص الاستقصاء العملي أن الحوار التأملي بين طالبات كل مجموعة ساعدهن على التفكير بشكل أعمق في كيفية الاستفادة من الدروس في حياتهن اليومية. وتؤيد إجابات الطالبات ذلك؛ حيث أظهرت أن الاستقصاء العملي ساعد على ربط المادة بالواقع، مما أدى إلى شعور الطالبة بأهمية المادة وفائدة المعلومات التي تدرسها. وفيما يلي اقتباسات من إجابات الطالبات المتعلقة بهذا الجانب:

- "ربط مواد الدين بمشاكلنا في الواقع وكيفية حل هذه المشاكل باستخدام المعلومات المطروحة في الدروس وكيفية تطبيق حلول هذه المشاكل في واقعنا"
- " أن ربط الدروس بواقعنا الحاضر من أفضل الطرق لتثبيت المعلومات"

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.6.1.9

- "طريقة الاستفادة من الدروس في الحياة الواقعية"
- " ربط الدروس بالواقع والاستفادة من الخبرات السابقة"

وقدمت الطالبات بعض المقترحات لتطبيق الاستقصاء العملي بشكل أفضل من وجهة نظرهن، وكان من أهم هذه المقترحات:

١- مناقشة ما توصلت إليه كل مجموعة مع باقي المجموعات للاستفادة من الأفكار المختلفة.

٢- تنويع مصادر استكشاف المشكلة، مثل: سؤال المجموعات الأخرى عن أسباب المشكلة من تجاربهن الشخصية، الرجوع إلى مراجع كالكتب، الاتصال بالإنترنت للتوسع في الموضوع.

٣- الحصول على دعم إدارة المدرسة لتكون دراسة المشكلة في المدرسة بشكل موسع.

٤- الخروج عن إطار المدرسة ونشر الطريقة وطرحها في المجتمع.

٥- الاستعانة بمختصات في موضوع المشكلة للمساعدة في إيجاد حلولها.

٦- محاولة تجريب الحلول وتطبيقها فعليًا في المدرسة وعلى مواقع التواصل الاجتماعي.

٧- كتابة الاستقصاء العملي بشكل بحث متكامل.

٨- تطبيق الاستقصاء العملي على جميع الدروس التي تحتوي على مشكلات من حياتنا الواقعية.

٩- إنهاء مهمة الاستقصاء العملي في نفس اليوم للتمكن من جمع المعلومات وترابطها.

١٠- منح وقت أكبر للتوسع في الموضوع وكيفية حل المشكلة.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.6.1.9

١١- تدريب الطالبات على فن الإصغاء.

١٢- مسابقة بين المجموعات وترشيح أفضل مجموعة للفوز.

التأمل

- في بداية تطبيق الاستقصاء العملي كان هناك معارضة من بعض الطالبات بحجة أن الطريقة تأخذ منهن وقتًا وجهدًا في العمل والتفكير أكثر من استخدام الطرق المعتادة. لمعالجة ذلك؛ حاولتُ تحفيز الطالبات بتوضيح أهمية الطريقة في حياتهن وتعلمهن، وتشجيع الطالبات المتحمسات للطريقة للتأثير على زميلاتهن. ومع مرور الوقت بدا أن الطالبات مندمجات في العمل، ولم يعد يبدر منهن تذمر أو اعتراض.
- حصلت خلافات بين الطالبات في بعض المجموعات أثناء الحوار، وهذا يتطلب من المعلمة القدرة على معالجة مشكلات التواصل بتوجيه الطالبات وفق معرفتها لشخصياتهن، بحيث تعيد دفة الحوار للاتجاه الصحيح، وتوجه الطالبات لإنجاز العمل كبقية المجموعات.
- البحث أسهم في تعزيز أدائي التدريسي من خلال تطوير إجراءات الاستقصاء العملي لتتناسب مع طالبات الصف الثالث الثانوي ومحتوى المادة الدراسية. إضافة إلى أن النتائج التي ظهرت لي من تطبيق الاستقصاء العملي كانت مشجعة، وزادت من قناعتي بإمكانية تطبيقه في المرحلة الثانوية، وتأثيره الإيجابي في تعلم الطالبات. ومع ذلك، أرى من واقع خبرتي أن هناك بعض التحديات التي قد تحد من استخدام المعلمة للاستقصاء العملي في التدريس، ومن أهم هذه التحديات:
  - كثافة المنهج مقارنة بعدد الحصص المخصصة له.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.6.1.9

- عدم ملاءمة تصميم المنهج لاستخدام الاستقصاء العملي.
- زيادة العبء التدريسي للمعلمة من حيث عدد الحصص وتعدد المناهج يقلل من حماسها لتجريب طرق تتطلب وقتًا ومجهودًا أكبر، مع علمها بأهميتها وجودة نتائجها.
- عدم توفر الإنترنت والأجهزة اللوحية في الفصول الدراسية، حيث إنها عامل مهم في تطوير التدريس باستخدام الاستقصاء العملي خاصة في مرحلتي الاستكشاف واتخاذ القرار.
- الحاجة لتدريب المعلمات على دور الميسر لإدارة المجموعات وتوجيه الطالبات للحوار والتأمل المنتج.
- وقت الحصة الواحدة غير كافٍ لاستيعاب الطالبات لجميع خطوات الاستقصاء العملي، وتوزيعها على حصص متفرقة يقلل من جودة تسلسل أفكار الطالبات وترابطها.

التوصيات

في ضوء النتائج التي توصل لها البحث؛ يمكن تقديم التوصيات الآتية لدعم استخدام الاستقصاء العملي في المرحلة الثانوية:

- تنظيم الجدول المدرسي بشكل أكثر مرونة بحيث يستطيع المعلم إعطاء حصص متتابعة عند تطبيق الاستراتيجيات والأنشطة التي تتطلب وقتًا أطول كالاستقصاء العملي.
- توفير الإنترنت وتفعيل التعلم المدمج في المدارس الثانوية لكونه أكثر مناسبة لتطبيق العديد من الاستراتيجيات ومنها الاستقصاء العملي.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.6.1.9

- تصميم المناهج بطريقة تمكن المعلم من ربط الدروس بواقع الطلاب ومشاكلهم بأساليب تفاعلية كالاستقصاء العملي.
- تدريب المعلمين على الاستقصاء العملي -أولًا- كأسلوب للتطوير المهني؛ ليتمكنوا منه، وليكون لديهم الدافعية لتطبيقه مع طلابهم إذا رأوا آثاره الإيجابية في تطوير عملهم ومهاراتهم.

مقترح للباحثين

إجراء دراسات بأساليب مختلطة لمعرفة تأثير الاستقصاء العملي على متغيرات مرتبطة بتعلم الطلاب (مهارات التفكير، المهارات الاجتماعية، مهارات حل المشكلة، التحصيل الدراسي...) في سياقات مختلفة (بيئات تقليدية، بيئات افتراضية، بيئات مدمجة، مواد دراسية مختلفة...)؛ مما يسهم في تطوير الطريقة ومواءمتها مع المواد والسياقات المختلفة.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.6.1.9

المراجع

الزايد، زينب (٢٠١٧). الممارسة التأملية في مجتمعات التعلم المهنية لتعزيز التعلم وفاعلية الذات التدريسية لدى المعلمات [سالة دكتوراه غير منشورة]. جامعة الملك سعود.

العبدالكريم، راشد (٢٠١٢). البحث النوعي في التربية. جامعة الملك سعود.

هيندريكس، تشير. (٢٠١٤). تحسين المدارس من خلال البحث الإجرائي منحى ممارسة تأملية (مدارس الظهران الأهلية، مترجم). دار الكتاب التربوي. (العمل الأصلي نشر في ٢٠١٣).

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.6.1.9

References

Akyol, Z., & Garrison, R. (2011). Understanding cognitive presence in an online and blended community of inquiry: Assessing outcomes and processes for deep approaches to learning. British Journal of Educational Technology**,** 42(2), 233–250. https://doi.org/10.1111/j.1467-8535.2009.01029.x

Alabdulkareem, R. (2012). Qualitative research in education. King Saud University.

Alzayed, Z. (2017). Reflective Practice in Professional Learning Communities for Fostering Teachers' Learning and Self-Efficacy [Unpublished Doctoral dissertation]. King Saud University.

Alzayed, Z. & Alabdulkareem, R. (2021). Enhancing cognitive presence in teachers' professional learning communities via reflective practice, Journal of Education for Teaching, 47 (1), 18-31. https://doi.org/10.1080/02607476.2020.1842134

Garrison, R. (2013). Theoretical foundations and epistemological insights. In Z. Akyol & R. Garrison (Eds.), Educational Communities of Inquiry: Theoretical Framework, Research and Practice (1-11). Hershey, PA: IGI Global.

Garrison, D., Anderson, T., & Archer, W. (2000). Critical inquiry in a text-based environment: Computer conferencing in higher education. The Internet and Higher Education, 2(2-3), 87-105. https://doi.org/10.1016/S1096-7516(00)00016-6

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.6.1.9

Hendricks, C. (2014). Improving schools through action research: a reflective practice approach (Dhahran Ahliyya Schools, translator). Educational Book House. (Original work published in 2013).

Moon, J. (2004). A Handbook of Reflective and Experiential Learning Theory and Practice. Routledge Falmer.

Murugaiah, P., Azman, H., Thang, S., & Krish, P. (2012). Teacher learning via communities of practice: A Malaysian case study. International Journal of Pedagogies and Learning, 7 (2), 162–174. https://doi.org/10.5172/ijpl.2012.7.2.162

Wells, G., (2004). Dialogic inquiry: Towards a sociocultural practice and theory of education. Port Chester, NY: Cambridge University Press.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.6.1.9